الفكر البلاغي عند ابن البناء المراكشي

Rhetorical Thought of ibn al-Banaa El Marrakchi

د. جيلالي بوزينة محمد – جامعة الشلف (الجزائر)

د. جلول دواجي عبد القادر – جامعة الشلف (الجزائر)

dawajiaek@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/08/06 **تاريخ القبول: 2020/10/04**

ملخص:

البلاغة في نظر البلغاء ليست أمرا مستقلاّ عن اللغة بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التعبير والإبلاغ، وهي شاملة لعنصري اللغة: اللفظ والمعنى، ولا شكّ أنّ في اشتقاق لفظة البلاغة من مادة "بلغ" ما يشير إلى الوظيفة الأساسية للبلاغة ذلك أن بلغ الشيء: وصل وانتهى، وبلغ الكلام: إذاً وصل إلى المخاطب وانتهى إليه والإبلاغ: هو الإيصال، وكأنّ الذي يوصل ما في نفسه من الأفكار إلى المخاطب هو البليغ حقّاً. فما مفهوم البلاغة عند ابن البناء المراكشي؟ وما هي نظرته إلى مباحثها وموضوعاتها وما موقفه من البيان والبديع والمعنى وهي علوم البلاغة الثلاثة وما يندرج تحتها من مصطلحات؟ هذا ما ستجيب عنه الورقة البحثية هذه.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، البيان، المعنى، البديع، الفكر البلاغي، ابن البناء المراكشي.

***Abstract*:**

Rhetoric in the eyes of rhetorics is not independent of language, but it is the element that helps language to perform its function, which is expression and reporting. It is inclusive of the two elements of the language: the fonn and meaning, and there is no doubt that the derivation of the word rhetoric is from the term “ *Balagha”* in Arabic which means "*reached*". It refers to the basic function of eloquence that it reached the addressee and ended up, and the report: it is the receipt, as if the one who delivers his own ideas to the addressee is really eloquent. What does the concept of rhetoric mean according to

Ibn El Banaa El Marakechi? What is his view on rethoric and position on its investigations and topics and what is its position on the the three statement related to rethoric ; the exquisite meaning and the meaning, which is the three sciences of eloquence and the terminology under which it falls? That's what this paper will answer.

Keywords**:** Eloquence, Statement, Meaning, Exquisite, Rhetorical Thought, Ibn al-Banaa Marrakchi.

1- البلاغة عند ابن البناء:

قال ابن البناء عن البلاغة: "أن يعبّرَ عن المعنى المطلوبِ عبارةً يسهل بها حصولُه في النفسِ متمكّناً من الغرضِ المقصودِ"[1]، وهذا التعريف على وجازته فيما يبدو ينحو إلى اللغة الطبيعية التي تتسم بالجمال الفني وسهولة التواصل بين المبدع والمتلقي بعيدا عن أسلوب الفلسفة والمنطق والتعقيد، ويقول الدكتور عبد المالك مرتاض ما يقرب من ذلك في المقصود: "إنّ أفصح الكلام وأبلغه لو يلقى في متلقّين لا يفهمون لغة ذلك الكلام لما كان له أيُّ تأثير، وإذن فلا بدّ من تضافر متلقّين بلغاء بالمقدار الذي يشترط فيه وجود باثّين بلغاء، يتذوّقون الرسالة الأدبية المتلقّاة، ويتحسّسون جمالها، وإلاّ فإنّ جمالية الأدب تفقد كلّ معنى لها إذا ظلّت أحادية الجانب من أجل ذلك قامت كلّ البلاغات عبر تاريخ الآداب الإنسانية الطويل على تكافؤ الإرسال والتلقي"[2].

والباحث في حديث ابن البناء عن البلاغة والفصاحة والبديع يجد أنّه قد فرّق بينها وأعطى لها مفاهيم محدّدة تدلّ على تميّز فكره عن معاصريه، فحازم لا يفرد للبلاغة تعريفا محددا بل ترد عنده مقترنة بكلمة علم فيقول في الموضع الأول: "إنَّ علمَ البلاغةِ يشتملُ على صناعَتَيْ الشعرِ والخطابةِ"[3]، ويقول في موضع آخر: "ومعرفةُ طرقِ التناسبِ في المسموعاتِ والمفهوماتِ لا يوصلُ إليها بشيءٍ من علوم اللسان إلاّ بالعلمِ الكلِّي في ذلك وهو علمُ البلاغَةِ الذي تندرجُ تحت تفاصيلِ كلّياتِهِ ضروبُ التناسبِ والوضعِ"[4].

ويرى السجلماسي أنّ "البلاغةَ جنسٌ عالٍ ضمَّ تحته عشرةَ أجناسٍ وهي: الإيجازُ التخييلُ، الإشارة، المبالغةُ، الرّصفُ، المظاهرةُ، التوضيحُ، الاتساعُ، الانثناءُ، التكريرُ"[5].

ولم يهتم ابن البناء بالتعريف العام للبلاغة الذي ينصّ على أن: "البلاغةَ مطابقةُ الكلامِ لمقتضى الحالِ مع فصاحتِهِ" فقد كان متأثّرا برأي الجاحظ الذي يرى بأنّ الأديب عليه أن يكون قادرا "على صياغة كلامه في مستوى فهم السامع، وثقافته، ومرتبته الاجتماعية، وذلك لأنّ الناس من هذه الوجهة على درجات متباينة، وعلى الأديب أن يراعي أحوال جمهوره، ويحاول أن يصوغ أدبه بالأسلوب الذي تستطيع معه كل فئة أن تشارك في فهمه واستساغته من حيث أهليتها للإدراك، وألفتها لألوان من التعبير واللفظ ولصنوف من المعرفة والثقافة، وإلاّ طاش سهمه واخطأ الغرض الذي يسعى إليه"(6)، ويتفق هذا مع ما يراه بيير جيرو في "أنّه إذا كانت البلاغة فنّا للتعبير الأدبي فإنّها أيضا أداة نقدية تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي كما تستخدم في تقويم فنّ كبار الكتّاب، وعليه يمكن القول بأنّ الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، إنّها علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية؛ أمّا كلمة أسلوب فهي تعني طريقة للتعبير عن الفكر بواسطة اللغة"(7) ولا يختلف هذا في جوهره عمّا جاء عند ابن البنّاء الذي يهتمّ اهتماما كبيرا بتحسين الأسلوب خدمة للمتلقي.

2– ابن البناء والبيان:

اقترنت كلمة البيان عنده بكلمة "علم"، وهو ما يعني أنّ البيان له قواعد وأصول تحكم مسيرته وتوجّه فهمه، وعلم البيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة عليه، والدلالة في مفهومها الخاص والعام من ضمن التراكيب في الكلام وأساليبه المتفاوتة في الإطالة والقصر، في الوضوح والغموض، في الغرابة والألفة، في الانسجام والتنافر، في مراعاة المقاييس النحوية والصرفية أو مخالفتها(8) ويعرّفه بأنه:"العلمُ الذي يميّزُ بين الكلّياتِ والجزئياتِ، ويميّزُ بين جزئياتِ كُلِّيٍّ وجزئياتِ كُلّيٍّ آخرَ حتى لا يختلِطَ شيءٌ بشيءٍ، ولا يشتَبِهُ في العلمِ شيءٌ ممّا يشتبِهُ في الصناعةِ، ولذلك تتميّزُ الحكمةُ من الشعرِ والجدُّ من الهزلِ في العلمِ وتشترِكُ في الصناعةِ"(9)؛ فالعلم عنده روح الحياة، لأن استكمال الإنسان لاعتقاداته، وأعماله، وأخلاقه، إنّما هو بالعلم الذي يقسّمه إلّى ثلاثة أقسام حسب مراتب الإدراكات الإنسانية، وهي:"مرتبة الحس، ومنها العبارة باللسان عمّا

في الضمير، ومرتبة الفكر التخييلي، ومنها ما يحصل في النفس بالوهم من مدلولات الألفاظ، ومرتبة العقل الروحي، ومنها المعقولات الثابتة الدائمة، ومنها ما يستشرف على مشارق الأنوار الفائضة على الباطن من قبل الحق، التي هي مفتاح باب ارتباط الخلق بالحق، ومسالك الأسماء الحسنى في العالم الثابت بها في المراتب الزائلة؛ فكأن الثانية مقصد والثالثة مبدأ، والأولى لاحق"[(10)].

ولم يقصد بالعلم معرفة لوازم الشيء والإحاطة بقوانينه، وضوابطه، كما تُعُورِفَ عليه سابقا، لذلك تجد علم البيان عنده يرتقي عن الصناعات المكتسبة فهو "شيء يفيضه الحق من عنده على الأذهان ويشهد به العقل الصريح لا باستفادة من إنسان، إنّما يحصل من المخلوقين التنبيه على العلم الذي علّمه الله خلقه، والشاهد على ذلك قوله تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[(11)]، وقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[(12)]؛ فعلم البيان عنده يشمل فنون القول المختلفة التي يمتلك المبدع التعبير فيها بدون سابق تعليم ومعرفة ويقصد بذلك ملكة الإبداع، والمهارة اللغوية التي يفيض بها الحق تبارك وتعالى على من يشاء من خلقه.

ويفرّق ابن البناء بعد ذلك بين صناعة البديع والبلاغة والفصاحة، وعلم البيان قائلا: "إنّما هي من جهةِ الاستدلالِ بالألفاظِ على معانيها، فهيَ راجعةٌ إلى كيفيَةِ العبارةِ والأساليبِ في البيانِ، وعلمُ البيانِ إنما هو من جهةِ وجهِ الدلالةِ والدليلِ، فهو راجعٌ إلى المعاني من حيثُ هي واضحةٌ فيهِ، ومشاكلَةُ الأمورِ من جهةِ حقائقِهَا عبَّرَ عنها بلفظٍ أو لم يُعَبَّر، ولذلك يكونُ الكلامُ عند الخاصَّةِ بالكلامِ البديعِ، ويكونُ عند العامّةِ بكلامِها المبنيِّ على غيرِ اللغةِ وعلى غيرِ الإعرابِ"[(13)].

ويقترن البيان عنده كذلك بكلمة "صناعة"، وذلك في قوله:"متى أُطْلِقَ البيانُ على القولِ وحدَهُ الذي به التبيانُ، فصناعةُ البديعِ هي صناعةُ البيانِ، وعلمُ البيانِ فوقَها، فإطلاقُ علمُ البيانِ على الصناعَةِ غيرُ سديدِ"[(14)]، ويمكن توضيح ذلك بأنّ الهدف الأوّل للمبدع

هو البيان، بيان ما في نفسه للمتلقي، أو السامع أو المخاطَب، ثمّ تأتي بعد ذلك درجة الإبداع في الكلام بالتزيين والتنميق وما إلى ذلك من ضروب البديع، لإخراجه في صورة ينبهر لها من حيث البيان والإبداع. والمتعارف عليه أنّه لا تكفي معرفة قوانين البيان ولا قوانين البديع أن تصنع من أيٍّ كان فنّانا مبدعا، بل لا بدّ من توفّر عنصر الملكة الفطرية التي تُوجد هذه الصناعة، ولا يوجدها العلم على حدّ تعبير ميخائيل نعيمة في غرباله.

ويبيّن ابن البناء بعد ذلك أنّ صناعة البيان تنحصر، وعلم البيانِ لا ينحصرُ، وذلك لوجود قاعدة في علم البيان تنصّ على أن "المرجوحَ لا يؤثر في الراجح لاختلافِ مرتبتِهما في القوّة والضعفِ، والقويُّ يدفعُ الضعيفَ طبعاً وعقلاً، وكذلك الإمكانُ لايقدحُ، إنّما يقدَحُ وجودُ الممكنِ لا إمكانُه، فإنّ إمكانَهُ عدمٌ، والعدمُ لا يقدَحُ في الموجودِ، وكذلك سائرُ القواعدِ الكلّيَةِ المشتركَةِ لبيانِ جزئياتِ العلومِ كلّها هيَ من علمِ البيانِ"(15).

ويتفق ابن البناء مع أقطاب المدرسة المغربية في عصره على أنّ علم البيان يشمل فنون القول المختلفة وأنّه علم كلّيٌّ شموليٌّ تخدمه الصناعات المكتسبة المتمثّلة في أساليب النظوم المختلفة، فالسجلماسي ينصّ في مقدّمة كتابه على أنّ مقصده من تأليف كتابه هو:"إحصاءُ أساليبِ النظومِ التي تشتملُ عليها الصناعةُ الموضوعةُ لعلمِ البيانِ، وأساليبِ البديعِ، وتجنيسُها في التصنيفِ وترتيبُ أجزاءِ الصناعةِ في التأليفِ على جهةِ الجنسِ والنوعِ وتمهيدُ الأصلِ من ذلك للفرعِ وتحريرُ تلك القوانينِ الكلّيَةِ وتجريدُها من الموادِ الجزئِيَةِ... فنقول أنّ هذه الصناعة الملقّبةُ بعلمِ البيانِ وصنعةِ البلاغةِ والبديعِ مشتملةٌ على عشرةِ أجناسٍ عاليةٍ..."(16)؛ وهم بذلك يختلفون عمّا جاء عنه عند السكاكي الذي حدّده قائلا:"هو معرفةُ إيرادِ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ بالزيادةِ في وضوحِ الدلالةِ عليه، وبالنقصانِ ليحترز بالوقوفِ على ذلك عن الخطأِ في مطابقةِ الكلامِ لتمامِ المرادِ منه"(17)، واعتبره قسيم علم المعاني، وألحق بهما المحسنات المعنوية واللفظية.

ولا يختلف مدلول البيان عند ابن البناء والسجلماسي مع ما كان عليه عند عبد القاهر الجرجاني وسابقيه حيث اعتبروا البيان وصفا للكلام البليغ، فيقول عنه عبد القاهر

الجرجاني: "إنّكَ لا ترى علماً هو أرسخُ أصلاً وأبسقُ فرعاً، وأحلى جنًى، وأعذبُ ورداً، وأكرمُ إنتاجا، وأنورُ سراجاً من علمِ البيانِ، الذي لولاه لم تر لسانك يحوكُ الوشيَ، ويصوغُ الحُلى، ويلفِظُ الدرَّ...والذي لولا تحفِّيهِ بالعلومِ وعنايتِهِ بها، وتصويرِهِ إيّاها لبقيَت كامنةً مستورةً، ولما استبانت لها يدَ الدهرِ صورةً"[18].

ولم يحّدد علماء البيان المتأخرون مدلولا لعلم البيان، فقد اكتفى عبد القاهر الجرجاني بذكر منزلته وما تعرض له من الضيم، وما دخل على الناس من الغلط في معناه[19]، وقد أشار إلى جوهر البيان الذي يكمن في"دقائقٍ وأسرارٍ طريقِ العلمِ بها الرويَةُ والفكرُ، ولطائفٌ مستقاها العقلُ، وخصائصَ ومعانٍ ينفردُ بها قومٌ قد هدوا إليها ودَلّوا عليها...وأنّها السببُ في أن عرَضتِ المزيةُ على الكلامِ، ووجبَ أن يفضُلَ بعضُه بعضاً، وأن يبعدَ الشأوُ في ذلك وتمتدَّ الغايةُ، ويعلو المرتقَى، ويعِزَّ المطلبُ، حتى ينتهي الأمرُ إلى الإعجازِ"[20].

أمّا الرمّاني فيعرّف البيان بقوله:"هو الإحضارُ لما بهِ يظهرُ لما بهِ تميّزُ الشيءِ من غيرِهِ في الإدراكِ"[21]، وهذا المفهوم ذكره ابن البناء عند تعريفه لمصطلح التوضيح الذي يقول فيه: "هو إحضارُ المعنى للنفس بسرعةِ إدراكِ، ولا يكونُ إلاّ بالأفصحِ والأجلى من الألفاظ وأحسنها إبانة ومسموعاً"، ثمّ يشير إلى تسمية الرماني له بـ "حسن البيان" وقال بعد ذلك:"وهذا النوع هو عمود البلاغة، ومادة أساليب البديع"[22]، ويستشهد له بشاهد الرماني التي ذكره لحسن البيان ويضيف إليه شواهد أخرى من القرآن ومن الأقوال النثرية.

والباحث المتأمّل لنصوص ابن البناء الدائرة حول مصطلح البيان يجد أنّه يشغل حيّزا كبيرا من فكره، فهو يأتي بمعنى الإبانة والإحاطة بأساليب النظم المختلفة، وقد قرنه بكلمة علم، وأتى بمعنى التوضيح وأشار إلى أنّه عمود البلاغة، ومادة أساليب البديع، ويأتي بمعنى التفصيل لذلك يذكره تحت تفصيل شيء بشيء، وبرّر ذلك بقوله: "إنّما جعلته في التفصيل لأن الله وصف كتابه بأنّه "بيانٌ للناسِ"، وبأنّه "تبيانُ كلّ شيءٍ" و"تفصيلُ كلّ شيءٍ"[23] وأتى بشواهد دالة على حسن البيان، ويتفق مدلول كلمة البيان عند ابن البناء مع ما كانت عليه عند أوائل النقاد في الدرس البلاغي فهو يدلّ على تلك "الملكةِ التي خلق اللهُ عليها

الإنسانَ كائناً قادراً على التعبيرِ عمّا في نفسِه والتأثيرِ فيمن حولَه من بني جلدتِهِ، فمدلولُ كلمةِ البيانِ الاصطلاحِيِّ بين يدي القرآنِ وفي فجرِ القرنِ الأولِ هو ملكةُ التعبيرِ ونتاجُ هذه الملكةِ من فنونِ القولِ"[24].

والجاحظ من أوائل من استخدموا مصطلح البيان، فقد عرّفه في كتابه "البيان والتبيين" بقوله:"البيانُ اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشفَ لكَ قناعَ المعنى، وهتَكَ الحجابَ دون الضميرِ حتى يفضي السامعُ إلى حقيقتِهِ ... لأنَّ مدارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائلُ والسامعُ إنّما هو الفهمُ والإفهامُ، فبأيِّ شيءٍ بلغتَ الإفهامَ، وأوضَحْتَ عن المعنى فذلك هو البيانُ"[25].

كما استعمل ابن البناء البيان وصفا للملكة الأدبية التي وهبها الله لفئة من الناس تمتلك آليات القول، والمهارة في صنع الأساليب الفنّية، وتلوين العبارات الأدبية، وهو علم كلّي تشترك فيه كل الفنون البلاغية على تباينها الذاتي.

3- الفصاحة عند ابن البناء:

الفصاحة هي:" أن يكونَ اللفظُ مشاكلاً للمعنى"[26]، ويبدو من خلال تعريفه هذا للفصاحة أنّ اهتمامه منصب على الجانبين اللفظي والمعنوي وأنّه لا بدّ من التشاكل والتوافق والتطابق بينهما حتى يتحقّق حسن البناء الذي يتمّ بموافقته للعقل وجريانه على النظام الطبيعي، وتتمثّل مقوّمات فصاحة الكلام عنده في"أن يكونَ لفظُهُ فصيحاً لسهولةِ مخارجِهِ، وعذوبتِهِ في السمعِ، وسهولةِ تصوّرِ معناهُ، وحسنِ مبانِيهِ بالمشاكلةِ العقليةِ، والنظامِ الطبيعيِّ، واتساعِ الفهمِ في لوازمِه فهو العالِي الدرجةِ، الرفيعُ المنزلةِ، النهايةُ في الطبقاتِ الشريفةِ، ولذلك احتِيجَ إلى معرفةِ الكلامِ وطبقاتِهِ"[27]؛ فالفصاحة عنده وصفٌ للفظ إذا تحقّق فيه التوافق الصوتي من سهولة في المخرج، وعذوبة في السمع، وللمعنى إذا تمكن المتلقي من إدراكه وفهم معناه بسهولة ويسر، وللفظ والمعنى وهما متشاكلان في بناء واحد منتظم لا تعقيد ولا التواء، تدل عليه لوازمه، فيتّسع فهمه، وبذلك يرتفع إلى أعلى طبقات الكلام.

وقد اعتبر علماء البلاغة قبله الفصاحة وصفا يطلق على الكلام والكلمة والمتكلّم وهي عند ابن البناء وصف للكلمة فقط ولم يلتفت إلى وصف المتكلّم بالإضافة إلى أنّ

ابن البناء يُعتَبَرُ أكثرَ اهتماما من علماء مدرسته الفلسفية المغربية بمصطلح الفصاحة إذ لم يذكره سوى حازم الذي يرد عنده مجاورا لمصطلح البلاغة ولا يقف عنده بتعريف ولا تحديد، بل يشير إليه حين يتحدّث عن حسن موقع الكلام من النفوس إذ اعتبره شرطا من شروط البلاغة والفصاحة[28]، وفي أثناء حديثه عن إعجاز القرآن بيّن أنّ الفصاحة والبلاغة جاءتا على درجة عالية في القرآن الكريم كلّه دون فتور، أو تفاوت بين آياته وسوره، أما كلام العرب فيقع فيه الفتور والتفاوت[29].

وقد نالت الفصاحة عناية فائقة في الدرس النقدي والبلاغي[30] قبل ابن البناء، فالسكاكي تناول الفصاحة بعد فراغه من علمي المعاني والبيان ناظرا فيها من:"جانبِ الفصاحةِ المعنويةِ، وهو خلوصُها من التعقيدِ، ومن جانبِ الفصاحةِ اللفظيةِ وهو أن تكون الكلمةُ عربيّةً أصيلةً، جاريةً على قوانينِ اللغةِ سليمةً من التنافُرِ بعيدةً عن البشاعةِ..."[31] وهذه الخصوصية التي منحها السكاكي للفصاحة لم تعرف من قبل عند علماء البلاغة فعبد القاهر الجرجاني لم يفرّق أيضا بين البلاغة والفصاحة، وأرجع الأمر إلى النظم، والذي لا يتحقّق لمن يريده "بغيرِ تناولِهِ للمعنى من الجهةِ التي هي أصحّ لتأديته وتختارَ له اللفظَ الذي هو أخصُّ بهِ وأكشفُ عنهُ وأتمُّ له وأحرَى بأن يُكْسِبَهُ نُبْلاً، ويُظهِرَ فيه مزيةً"[32] كما لم يتأثّر عبد القاهر الجرجاني بتفريق ابن سنان بين الفصاحة والبلاغة الذي قال فيه:"الفصاحةُ وصفٌ مقصورٌ على الألفاظِ والبلاغةُ لا تكون إلاّ وصفاً للألفاظِ مع المعاني"[33]، وقد كان تفريعُه مكمّلا لما بدأه العسكري الذي أشار إلى أنّ "الفصاحةَ تمامُ آلةِ البيانِ، فهي مقصورةٌ على اللفظِ، لأنَّ الآلة تتعلّقُ باللفظِ دون المعنى، والبلاغةُ إنّما هي إنهاءُ المعنى إلى القلبِ، فكأنّها مقصورةٌ على المعنى"[34]، إلاّ أنّ ابن سنان كان له جهدا ملحوظا في باب الفصاحة فقد أحاط بما قيل فيها، وقام بتصنيفها وتبويبها وذكر شروطها وبرّر سبب اهتمامه بها في بداية كلامه قائلا:"إنّي لما رأيتُ الناسَ مختلفينَ في ماهيةِ الفصاحةِ وحقيقتِها، أَوْدَعْتُ كِتابي هذا طُرَفاً من شأنِها، وجُملَةً من بيانِها، وقرّبتُ ذلكَ على الناظرِ وأوضحتُهُ للمتأمِّلِ..."[35].

وكان الجاحظ سبّاقا إلى اعتبار أنّ للفصاحة معنيين اثنين: الأول يرتبط بسلامة النطق ممّا يشوب أصوات الحروف ويعطّل مخارجها الصحيحة، والثاني: يرتبط بنقاء اللغة، وخلوّها من المفردات والصيغ الشاذة عن أصالة اللسان القرشي، وقواعد لغة القرآن كأنموذج أرفع لتلك الأصالة(36)، فلم يكن للفصاحة عند الجاحظ مفهوما محدّدا بل كانت تلتبس لديه بمدلول البيان والبلاغة حتى استخدم الألفاظ الثلاثة بمعنى واحد.

ويروي صاحب الطبقات أنّ "أبا ذؤيب الهذّلي كان فصيحا كثير الغريب متمكنا في الشعر"(37)، فالفصاحة عنده صفة للألفاظ وحدها وليست للمعاني أو هما معا.

وخلاصة ذلك أنّ ابن البناء أولى الفصاحة اهتماما واضحا حيث قام بتعريفها وذكر مقوّماتها سواء كان ذلك في اللفظ أو في المعنى، أو كليهما وذكر أنّه بتوفر تلك المقوّمات يكون حسن البناء المتّفق مع نظام اللغة الطبيعية، وقد قصد بحسن البناء خلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات، والخلوص من التعقيد، فيتآزر المستوى التركيبي والصوتي والدلالي ليحقّق بذلك جمال اللغة الطبيعية ويسمو به إلى مرتبة عالية وهذا ما يلاحظ من خلال تعريفه للفصاحة وما ذكره من شروط لها، فقد نظر إليها نظرة تنبع من إدراكه لطبيعة اللغة الأدبية وما يجب على الأديب أن يراعيه فيها.

4- البديع وموقف ابن البناء منه:

كانت كلمة بديع تطلق على كلّ ما فيه طرافة وجمال، فقد كان عبد القاهر الجرجاني في كتابيه الدلائل والأسرار يبحث عن البلاغة العالية والبيان الساحر، وعن الصنعة الفاخرة والنظم البارع، وأين يكون الحسن والإحسان والإبداع والإفتتان، وفيم تتمثّل خصائص الجودة ومظاهر البراعة(38).

أمّا البديع عند ابن البناء فيحمل معنى الأدبية، بمعنى التميّز الجمالي في الخطاب سواء أكان منظوما أم منثورا وسواء أكان شعرا أم غير شعر، ولا يغدو التقابل بين الشعر وغير الشعر عنده يتطابق مع ما هو مألوف بين الشعر والنثر، ولكنّه يغدو بين القول المخيّل وهو الشعر والقول غير المخيّل وهو غير الشعر، سواء أكان ذلك في المنظوم أم المنثور، ويظهر

الشعر عنده لا يمكن أن يحمل الحكمة أمّا غير الشعر فيحمل الحكمة أو هو قابل لحملها ومن هنا تأتي التفرقة بين الشعر وغير الشعر لا تتصل بالقيمة الجمالية، فكلاهما يشمله البديع وكلاهما تتمثّل فيه الأدبية لكنّ أحدهما "الشعر" لا يحمل إلاّ الجهل والباطل، أمّا الآخر غير الشعر سواء أكان منظوما أو منثورا فهو قابل لأن يحمل الحق والحكمة(39).

وقد أحدثت جهود نقاد الغرب الإسلامي ثورة جديدة وانقلابا جذريا في مفاهيم النقد والبلاغة، وفي قضاياهما، فأعطت نفسا جديدا، ساهم في بناء الدرس البلاغي والنقدي ووجهت مساره توجيها صحيحا سليما، ويبدو هذا جليا في كيفية تعامل نقاد الغرب الإسلامي مع صناعة البديع، وصناعة البيان إذ وضعوا عناصر علمية لتحديد الصناعة البديعية، والصناعة البيانية، وميّزوا فيما بين علم البديع وعلم البيان، وبين المصطلحات التي تنضوي تحت كلّ علم وصناعة فكانت أبحاثهم ودراساتهم متميّزة بالدّقّة والتحديد، والمرونة مجرّدة الدرس البلاغي من المترادفات الزائدة، والمصطلحات المتداخلة كما كانت أبحاثهم تغترف من درس الإعجاز، وعلوم القرآن والتفسير، وأصول الفقه الشيء الذي بلور الدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية.

لقد كان البديع عند القدماء يذكر لبيان أسرار تراكيب اللغة العربية، وتفوّقها على سائر اللغات لذا نجدهم يقفون على ألوان من الاستعارات، والتشبيهات والكنايات(40) فالجاحظ نبّه إلى أنّ اللغة العربية تسمو على سائر اللغات بالبديع: "والبديعُ مقصورٌ على العرب، ومن أجلِهِ فاقت لغتُهم كلَّ لغةٍ، واربت على كلِّ لسانٍ"(41)، فالبديع عنده ميزة خاصة بالعرب والعربية.

فلا غضاضة إذن إذا ما سار نقاد الغرب الإسلامي على نهج علماء اللغة والنحو وعلماء البلاغة والنقاد القدماء، وعلماء الإعجاز، أن نلاحظ اهتمامهم بعلم البديع –خلال عصر كلٍّ من ابن البناء والسجلماسي– حيث صار مصطلح البديع يهيمن على عناوين كتبهم ومؤلفاتهم النقدية منطلقين من تحديد الدلالة المصطلحية، ومجالات البديع وقضاياه، وظواهره وعلاقته ببديع القرآن وإعجازه، ويرجع ذلك إلى انبهارهم ببديع القرآن

وأسلوبه، ونظمه، وصوره، لذا حاولوا أن يؤصّلوا له كعلم جديد مستعينين بعلم المنطق والفلسفة، وعلم الكلام، وكان هدفهم هو صياغة نظرية نقدية جديدة تسهم في بلورة وتطوير الدرس البلاغي والنقدي، وتقرّب أسرار الإعجاز–وهو الهدف الذي ترمي إليه جهود ابن البناء– من ذوي الاختصاص وغيرهم من عامة الناس، وتوجّه المسار النقدي توجيها سليما مواكبا للدراسات القرآنية، والحالة هذه أنّ الأدب العربي وقتئذ قد عرف ركودا، لذا كانت جهود نقاد الغرب الإسلامي القيّمة قد أبعدت الباحثين والمهتمين عمّا تهدف إليه عناوين التراث النقدي حيث يقول د. علال الغازي عن ذلك: "ونبدأُ حديثَنَا بالإشارةِ إلى خطأٍ تاريخيٍّ منهجيٍّ لحِقَنا من القدماءِ، ولم ينتَبِه إليهِ المحدثون، وهو عناوينُ كتبِ القرنِ الثامنِ في المغربِ، حيث أبعدَتِ الدارسينَ عن المضامينِ الحقيقيَّةِ، التي تمثّلُ في بعدِها و دلالاتِها المضمونيَّةِ، والمنهجيَّةِ والأسلوبيَّةِ ما تهدفُ إليه عناوينُ التراثِ النقديِّ، إذْ قضى العنوانُ البديعيُّ على المضمونِ النقديِّ، فأبعدَ القارئَ، وبالتالي أبعدَنَا عن الوقوفِ على عالمٍ خاصٍ وجديدٍ من الدرس النقدي الجديد الممتع الهادف"[42]، فالمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع"، و"الروض المريع في صنعة البديع" و"منهاج البلغاء وسراج الأدباء" وغيرها–في رأيه– جنت على أهداف ومقاصد مؤلفيها، وبالتالي على الثورة التي كان من الممكن أن تحدثها في الدراسة العربية الحديثة لو أنّ القارئ اطّلع على هذه الكتب ليقف على تمرّدها على تلك العناوين المسجوعة والموجّهة، أو الموحية بأنّها تدور في الفلك البلاغي عموما، والبديعي خصوصا، في حين أنّها تمثّل منظورا آخر، ومنهاجا فريدا، وشمولية في الاصطلاح، ما كان لغيرها من كتب القدماء أو المعاصرين في الشرق كـ"الطراز"و"معاهد التنصيص"، وغيرها أن يكون كذلك[43]، وربّما كان د.علال الغازي محقّا في تنبيهه إلى الخطر المنهجي التاريخي الذي لحق الأدب العربي من طرف النقاد القدماء، وعدم انتباه المحدثين إلى عناوين المؤلفات التي هيمن عليها مصطلح البديع خلال القرن الثامن الهجري، وتمرّد مؤلفات الغرب الإسلامي على الكتب البلاغية الشرقية التي عنونت بعناوين مسجوعة موحية، إلاّ أنّه يؤاخذ على بعض النتائج التي توصّل إليها والتي يمكن حصرها في: القضاء على المضمون النقدي، وإقصاء القارئ من الدرس البلاغي الجديد، الممتع والهادف، وكون

تلك المؤلفات جنت على أهداف مؤلفيها، وعلى الثورة التي كان من الممكن أن تحدثها في الدراسات العربية(44)، وقد أقصى الروض المريع من دراسته مدّعيا تفوّق المنزع البديع عليه.

فالمضامين البلاغية المغربية وإن هيمن عليها مصطلح البديع فلم يقض عليها، بل نجده قد أغناها، إذ غيّر المسار النقدي من الابتذال، والاعتماد على الفطرة والسليقة والذوق إلى المسار الأسلوبي العلمي، كما غيّر قضايا النقد، وظواهر البلاغة، حيث ظلّ مواكبا للنص البلاغي الإلهي، ومنتعشا تحت ظلّ الدراسات القرآنية، والإعجازية التي أسهمت إسهاما فعّالا ورائدا في بناء الدرس النقدي والبلاغي.

أما إقصاء القارئ من الدرس النقدي، فمرجعه إلى اضطراب المناهج، وكثرة التفريعات والتقسيمات البلاغية، وعدم تحديد مصطلحاتها، ويرجع إلى كثرة التخريجات النحوية واللغوية.

أما كون المؤلفات جنت على أهداف مؤلّفيها، وعلى الثورة التي يمكن إحداثُها، فإذا صحّت هذه النتيجة فلا تعمّم على كافة المؤلفات البلاغية والنقدية، فقد تنطبق على بعض المؤلفات الشرقية –خلال عصور الانحطاط– ولا تنطبق على مؤلفات الغرب الإسلامي(45).

وباعتبار أنّ جهود ابن البناء تنطلق من اعتبار البديع مساويا أو مرادفا للبلاغة، فإنّ المقام يتطلّب تحديد ومناقشة مفهومه لمصطلح البديع، ومناقشة العلاقة التي تربطه بعلمي البلاغة والنقد، ومناقشة علاقته بالدراسات القرآنية، خصوصا منها تلك التي تهتم بدرس الإعجاز، وذلك للوقوف على ما أسداه نقاد الغرب الإسلامي من جهود خدمة للقرآن الكريم، وإغناءً للدرس البلاغي والنقدي، وتقويما لبعض المزالق المنهجية التي وقع فيها بعض النقاد القدماء، وتصحيحا لبعض المفاهيم البلاغية.

لقد كان درس البديع عند نقاد الغرب الإسلامي يقوم على المنهج العلمي، والفلسفي والمنطقي وذلك لفهم درس الإعجاز–"زيادة المنة وفهم الكتاب والسنة عند ابن البناء"– والتراث الشعري واللغوي، كما يلاحظ تفرّع مصطلح البديع إلى مصطلحات صغرى تنضوي تحت بابه إلاّ أنّه تفرّعٌ منطقيٌ سليمٌ.

وقد كان الهدف الذي ألّف من أجله "الروض المريع" و"المنزع البديع"، وهو وضع منهج علمي جديد لعلم البديع وصناعته، ومزج البلاغة والنقد بالمنطق والفلسفة، وعلوم القرآن–خصوصا منها– دراسات الإعجاز، حتى يدرك ذوو الاختصاص أنّ الإعجاز سيبقى قائما مهما تغيّرت الأزمنة والثقافات والمفاهيم، والأوضاع الاجتماعية والسياسية ويدرك بسطاء الناس حقيقة الإعجاز وسرّه وجمالية التصوير القرآني، وفحوى أبعاد الحرف الذي يتكون منه النص القرآني.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ نقاد الغرب الإسلامي قد تعاملوا مع المصطلحات البلاغية بيقظة وحذر وفق عناصر علمية مضبوطة، مع التسلّح بعلم المنطق والفلسفة أثناء وضع مصطلح ما، ليسلموا من كثرة الدلالات، وتعدد التفريعات، وذلك باتباع المراحل التالية:

أ– ضرورة الانطلاق في تحديد المصطلح من الأصل اللغوي للكلمة، فالاستعمال الجمهوري الشائع، حتى لا يكون هناك انفصال بين الوضع والاستعمال عند اللغويين المنظرين وعند عامة الناس الممثلين للجمهور.

ب– تحديد أوجه الاستعمال، والعلاقة بين المعنى اللغوي الجمهوري للكلمة وبين المعنى الصناعي النظري، في تبلور الكلمة، واستعدادها لتقبّل وتحمّل الدلالات التي حدّدت من أجل خدمتها(46)، لذلك جاءت مصطلحات البديع، والبيان عند نقاد الغرب الإسلامي متميّزة بالتحديد والمرونة والتكامل والتجانس، هذه المسميات أعطت المصطلح حركية تساعد العلماء على مناقشة الصورة الفنية.

ت– مشاكلة اللفظ الذي وقع عليه الاختيار ليكون مصطلحا بديعيا أو بيانيا للمعنى، إذ روعي فيه جانبا اللفظ والمعنى في بلورة المصطلح: وضعا وتصوّرا ودلالة(47).

ث– الاعتماد على الفلسفة والمنطق في تحديد مفهوم المصطلح الدلالي، وهذا يتيح للمصطلح فرصة التعاون بين الفلسفة والأدب خدمة للغة والفكر من أجل إرساء قاعدة للتنظير النقدي المبني على أساس علمي: "فكل صوت، وكلمة وجملة يتطلّب تأييدا منطقيا يكفل وجوده، لأن كلّ واحد منها تعبير عن الفكر المطلق، وبالخضوع لأحكام العقل، تفسّر اللغة من حيث هي كائن حي"(48).

هكذا استطاع النقاد المغاربة رصد المعالم الأساسية لمنهجهم الجديد قصد تخليص المصطلح البديعي من خلط المترادفات التي عُهِدت عند النقاد والبلاغيين القدماء، إلى أن جاء نقاد الغرب الإسلامي، حيث صار المصطلح عندهم يكتسي سمة علمية، قابلا للدلالة المصطلحية، بعيدا عن كلّ التباس معنوي.

5- مسار مصطلح البديع:

إذا كان المفهوم اللغوي ينطبق على كلّ جديد وحديث، ومخترع، لا على مثال-كما تقدّم- فإنّ في البلاغة مصطلحا علميا من المصطلحات الثلاثة التي انقسم إليها علم البلاغة بعد السكاكي، حيث أصبح علما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووجوه الدلالة(49)؛ فالعلاقة واضحة إذن بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لاسم البديع فارتباط العلاقة بين البديع والبلاغة والنقد بفني الشعر والنثر قائمة.

وعندما خطا الأدب والشعر بالخصوص بعد نصّ القرآن المعجز-كأهم موضوع للدرس البلاغي النقدي- خطواته الجديدة، وهو يتأثّر باللون الحضاري والثقافي الذي عرفه المجتمع العباسي، فأعطاه صورة العصر التي أحدثتها الكتب، كان النقد يتتبع تلك الخطوات، فيرصد عناصرها، ويتعارك الدارسون من أجل وضع اتجاهاتها، كلٌّ فيما يراه صوابا، حتى كان من مجموع ما كتبوا ذلك التراث الخالد الذي سمّي حينا "بيانا" وسمّي أحيانا "بديعا" كما سمّي بلاغة وفصاحة، وهي ألقاب ومصطلحات لا تبتعد كثيرا في مدلولها كما لا تبتعد كثيرا في موضوعها(50)، ومن هذا نستنتج أنّ ارتباط علاقة مصطلح البديع بفنَّيْ الشعر والنثر، وعِلْمَيْ البلاغة والنقدِ، قد أدّى إلى تقسيم الأدب العربي إلى اتجاهين متباينين: اتجاه قديم واتجاه حديث وبتعبير آخر: القدماء والمحدثون.

فقد ابتدأ الاتجاه الثاني المحدَث قبيل العهد العباسي على يد بشار بن برد، وابن هرمة، ومروان بن أبي حفصة، ومطيع بن إياس، وغيرهم من مخضرمي الدولتين ومن جاء بعدهم من صنّاع الشعر العربي(51)، مع ما يمكن رصده من تباين بين شعراء الأحقاب اللاحقة من اعتدال أو إغراق في محسنات الصناعة الشعرية:"فلمّا كان القرنُ الثاني الهجري

أخذَ الشعرُ العربيُّ يلبَسُ رويداً ثوباً من الزُّخرُفِ، والتنسيقِ قصدَ تَوْشِيَتِهِ بحلًى وزخارِفَ لا عهدَ له بها على هذا النحو... ذلك هو الذي وقعَ عليهِ فيما بعدُ اسمُ البديعِ أو اللطيفِ"[52]، ويمكن التماس الفرق في مدارسة التراث الأدبي الشعري بين استعمال المصطلح عفوا، وبين استعماله انطلاقا من رأي الدارسين فيه فيما بعد، فقد عرف القدماء الطباق ومراعاة النظير والأرصاد والمشاكلة والاستطراد والعكس والتبديل والرجوع والتورية والاستخدام واللف والنشر والجمع والتقسيم، وغير ذلك من المصطلحات التي نجدها مبثوثة في أشعارهم وأقوالهم، وكذلك في الذكر الحكيم.

ومع أنّهم لم يقصدوا إليه فقد جاءهم عفوا، وغزا شعرهم وأقوالهم في يسر وأناة[53] لأنّ العرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنّس أو تطابق، أو تقابل، فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى، كما يفعل المحدثون ولكنها تنظر في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنيه الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض"[54].

كما أنّها تُفاضِلُ بين"الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته، وجزالة الفظ واستقامته"[55]، لكنّ التغيير التدريجي الذي تعرّض له مصطلح البديع عبر مساره التاريخي خاضع لتطوّر المجتمع العربي في العصور الثلاثة: الإسلامي، والأموي والعباسي، وقد انعكس هذا التغيير على الشعر والنقد والبلاغة، والدراسات التي تهتم بإعجاز القرآن، فانتقل الإبداع من المطبوع إلى المصنوع، حيث صار يرتدي ثياب التكلّف الملوّن بألوان الزخرف.

وهكذا أصبح للبديع مصطلحه الخاص بين المصطلحات، فبينما كان يطلق عند الجاحظ ومن قبله فيراد منه علم البلاغة بكل أقسامها، فإذا بالبديع بعده يحاول أن يتخذ لنفسه استقلالا نسبيا عن البلاغة، لكنّه ظلّ عالقا بعلمي المعاني والبيان عند ابن المعتز وما ذكره من البديع والمحاسن خليط عُدَّ بعضه أخيرا من علم المعاني كالالتفات والاعتراض وتجاهل العارف، وبعضه من علم البيان كالاستعارة وحسن التشبيه والتعريض والكناية، وبعضه من البديع الاصطلاحي"[56]، بل لم يستقلّ حتى عند السكاكي نفسه الذي جعل منه علما تابعا لعلمي المعاني والبيان، ولم يفرد له بابا خاصا كما فعل شرّاح المفتاح فيما

بعد، مثل الخطيب القزويني في تلخيصه، ومع ذلك ورد في أنواع تكاثرت واختلف النظر في تكاثرها، وتنوّعها من دارس إلى آخر، حتى وقع المصطلح بين يدي السجلماسي وابن البناء وعند نقاد الغرب الإسلامي فأعطوه طابعا خاصا، إذ صار عندهم يتّسم بصبغة تراجعية عن الاستقلال الذي عرفه على يد المتأخرين بعد ابن المعتز والسكاكي الذي يقف في نقطة بداية التحول من مفهوم إلى آخر، في دنيا تحديد علم البلاغة ومن ضمنها "البديع".

وكان لا بد من انتظار ظهور"المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع" للسجلماسي و"الروض المريع في صنعة البديع" لابن البناء المراكشي ليقف الدارس على إطلاق يحترس من حيث المنهج للتفريق بين"علم البيان" في إطلاقه العام أيضا، وبين"صناعة البديع" في مفهومها الجديد، بعد إعطائها المفهوم العام الذي يحمل دلالة البلاغة والنقد كما نرى ذلك انطلاقا من منهاج حازم وتركيزا على المنزع للسجلماسي وروض ابن البناء في إطار التجنيس والتناسب وذلك من خلال محورين رئسيين:

أ ـ التنظير الفلسفي المنطقي، وبالطبع ما عرفه النقد والبلاغة من تطور.

ب ـ التطبيق العملي.

من خلال رصد مصطلح البديع وتتبعه عبر المسار التاريخي، يستنتج الباحث أنّه كان في بدايته–خصوصا عند الجاحظ ومن قبله– بدأ يأخذ استقلالا نسبيا عن علم البلاغة واستمر المصطلح عند ابن المعتز عالقا بعلمي المعاني والبيان، إلاّ أنّه يلاحظ أن المصطلح أخذ طابعا خاصا عند نقاد الغرب الإسلامي، حيث ميّز هؤلاء النقاد كلاّ من علمي البيان والبديع وأعطوا هذا الأخير مفهوما جديدا ينسجم ودلالة البلاغة والنقد العربيين.

6- علاقة البديع بإعجاز القرآن:

لمعرفة العلاقة الجامعة بين البديع والإعجاز، لا بدّ من معرفة أساليب البديع، واستعمالاته ومصطلحاته، فمنها: عند بعض النقاد، وعند المهتمين بإعجاز القرآن، ويخص البحث بالذكر هنا الباقلاني: التشبيه والاستعارة، الكناية، الغلو، المماثلة، المطابقة، التجنيس المقابلة الموازن المساواة الإشارة الإيغال التوشيح، ردّ العجز على الصدر، التقسيم التفسير، التكميل التتميم، الترصيع المضارعة التكافؤ، السلب والإيجاب، العكس التبديل، الالتفات الاعتراض الرجوع التبديل، الالتفات، الاعتراض، الرجوع، التذييل الاستطراد، التكرار الاستثناء(57).

والملاحظ هنا إقحام بعض المصطلحات البيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية والغلو في علم البديع، وهيمنة علم البيان– كعلم كلّي– على علم البديع، لأنّ العلاقة بينهما هي علاقة عام بخاص، ترجع أصولها إلى الدراسات اللغوية والقرآنية والأدبية، إذ وظّف المهتمون كل مقوّمات الدرس اللغوي، والبلاغي والنّقدي من أجل فهم أسرار الإعجاز، وحقيقة بيانه–وفي هذا السبيل سارت جهود ابن البناء– وتوجيه القضايا النقدية توجيها يواكب وينسجم مع أحكام الآداب الإسلامية، وقضاياها وظاهرها، وما تنضوي عليه هذه الآداب من دقّة في التعبير وصحّة في التفكير، ما تنم عليه من صور فنّية، ومحاكاة بديعية.

إنّ العلاقة بين علم البديع وعلم الإعجاز، تجعل الدارس يتتساءل مع الباقلاني: "هل يكمن إعجاز القرآن من جهة ما يتضمنه من البديع؟ وهل الإعجاز يقتصر على البلاغة وحدها ؟ وهل لأبواب البديع فائدة في معرفة الإعجاز؟(58)

فقد ذكر أهل الصنعة ومن صنّف في هذا المعنى من صنعة البديع ألفاظا، نحن نذكرها، ثم نبيّن ما سألوا عنه، ليكون الكلام واردا على أمر مبيّن مقرّر وباب مصوّر"(59) فمن البديع في القرآن، قوله عزّ ذكره:﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾(60) وقوله:﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾(61)، وقد يكون البديع من الكلمات الجامعة الحكيمة، كقوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾(62)، وفي الألفاظ الفصيحة كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾(63)، وفي الألفاظ الإلهية كقوله:﴿**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(64).

إنّ ما يميّز الكلمات البديعية في الذكر الحكيم كونها جامعة للأحكام الشرعية والعقديه، وكونها منظمة وموجهة للسلوك الإنساني نحو الطريق المستقيم.

ويدرك المهتمّ بعلم البديع كما يدرك المهتمّ بقضايا الإعجاز وضروبه أنّ الإعجاز كامن فيما تتضمنه النصوص القرآنية من أساليب البيان والبديع وبراعة النظم، وحسن الديباجة من أساليب تتحدّى عباقرة الإبداع، والفكر، كما تتحدّى سواهم وإن أوتوا ضروب الفصاحة والبيان، وعلت كعوبهم في فنون التعبير وسمت قرائحهم وتفتّقت، وتميّزت أذواقهم، وتنوعت، فالقرآن لا يقتصر على بلاغته وحدها، وإنما هو إعجاز يتميّز بالشمولية، والخلود، والسهولة والوضوح، كما أن فائدة علم البيان لا تقتصر على فهم النص القرآني، والنبوي، وتذوّقهما واستخراج الأحكام منهما، وما تنم عليه النصوص القرآنية والنبوية من جمال، وإنما تهدف إلى تقوية الإيمان، والزيادة في المنّة، وإغناء الدرس البلاغي والنقدي، وتوجيه قضايا النقد والبلاغة ولتواكب روح الشريعة السمحاء.

والتساؤلات التي يمكن أن تطرح في هذا المجال: هل لأبواب البديع فائدة؟ وهل الإعجاز لايستدل عليه إلاّ بمعرفة صنعة البديع، وعلم البيان؟ وهل يستطيع من أدرك صنعة البديع والبيان أن يأتي ولو بصورة فنّية معجزة تتضمن كلّ حقائق الإعجاز وأسراره؟

وهذا ما يجيب عنه الباقلاني بقوله:"وقد قدّرَ مقدّرون أنّه يمكِنُ استفادةُ إعجازِ القرآنِ من هذه الأبوابِ التي نقلناها، وإنَّ ذلك ممّا يمكِنُ الاستدلالُ بهِ عليهِ وليس كذلك عندنا، لأنَّ هذه الوجوهَ إذا وقعَ التنبيهُ عليها أَمِنَ التوصلُ إليها بالتدريبِ، والتعوّدِ والتصنُّعِ لها، وذلك كالشعرِ الذي إذا عرَفَ الإنسانُ طريقَهُ صحَّ منه التحمُّلُ له، وأمكنَهُ نَظْمُهُ والوجوهُ التي نقولُ:إنّ إعجازَ القرآنِ يمكنُ أن يعلمَ منها فليس ممَّا يقدِرُ البشرُ على التصنُّعِ له، والتوصُّلُ إليهِ بحالٍ"[65].

والنتيجة من هذا إمكان استفادة إعجاز القرآن من أبواب البيان، وصحّة الاستشهاد به عليه، والخلوص إلى استحالة وصول بلاغة البشر إلى بلاغة القرآن وبديعه، لأنّ بلاغة البشر أدنى مهما سمت، فهي لم ترق إلى بلاغة الإعجاز، حيث إن بلاغة البشر ليست فطرية، وليست خالدة، حيث يمكن التوصّل إليها بالدربة، والتعليم، لذا تراها غنيّة بالتكلّف والتعسّف، قابلة للتفاضل والتفاوت، أما بلاغة القرآن فقد جاءت متسمة بالكمال، وتمام الاتصال، موجّهة المسار النقدي نحو المسار الصحيح.

7- موقف البلغاء والنقاد من البديع:

كانت صناعة البديع تغترف من بديع القرآن والحديث النبوي الشريف وصار الأدباء والنقاد يربطون قضايا النقد الأدبي، بقضايا الإعجاز القرآني، لأنّهم وجدوا فيه ما يشبع نهمهم الفكري، والأدبي والعقدي والفلسفي، لذا جاءت دراساتهم وبحوثهم مثمرة ومتنوعة، وقد كانت مواقفهم حول هذه الصناعة متباينة فمنهم من وقف منها موقف الرضا ومنهم من وقف منها موقف الرفض ولكل فريق ما يؤيّد قوله ويزكّي حجّته؛ فما هي أسباب الخلاف في هذه المواقف المتباينة؟ وما مدى انعكاس الخلاف على الدرس البلاغي والنقدي؟

موقف ابن رشيق 456هـ من البديع: كان العرب يستعملون في إبداعهم أساليب البيان والبديع عفوا، لأنّهم فطروا وجبلوا على الفصاحة والبيان والبديع، ولم يعرفوا قواعد الشعر والعروض والنحو والبلاغة، لهذا كانت معجزة الرسول –صلى الله عليه وسلّم– في الكتاب المبين الذي نزل بلغتهم التي نبغوا فيها، وأبدعوا وتفنّنوا، فأظهر القرآن عجزهم وضعفهم إذ تحدّاهم بالإتيان ولو بأقصر سورة من مثله، أو آية فانبهروا ببيانه، وفصاحة كلامه، وحلاوة أسلوبه، وجزالة ألفاظه فبدؤوا ينسجون على منواله، ويحاكون تعابيره وأساليبه، فبدا عليهم أثر التكلّف والتصنّع وجهد التعسّف، وإن كان الشعر يتدفّق من ألسنتهم كالجدول الرقراق منسابا، فجنّسوا وطابقوا وقابلوا وأحكموا القوافي، وكشفوا المعاني وشاكلوا الألفاظ ولاءموها–كلّ ذلك كان قبل أن تمتزج فطرتهم وسجيتهم بلوثة الداخلين من الفرس وغيرهم– يقول ابن رشيق: "والعربُ لا تنظرُ في أعطافِ شعرِها بأن تجنّسَ أو تطابقَ، أو تقابلَ، فتتركَ لفظةً للفظةٍ أو معنًى لمعنًى كما يفعل المحدثون، ولكن نظرَها في فصاحةِ الكلامِ وجزالتِه وبَسْط المعنى وإبرازِهِ وإتقانِ بِنْيَةِ الشعرِ، وإحكامِ عَقْدِ القوافِي، وتلاحُمِ الكلامِ بعضُهُ ببعضٍ"(66)، فابن رشيق ينطلق من تحديد الأسس التي تنبني عليها صناعة الشعر عند القدماء، وقد حصرها في العفوية، والسليقة، ومشاكلة الألفاظ للمعاني ووضوح الدلالة، وتلاحم أطراف الكلام، وتلاحم أجزاء البيت، وهي الأسس التي وضعها النقاد والبلاغيون لصناعة الكلام وهي مستوحاة من الأسس التي قام عليها الإعجاز وهو ما يدلّ على تفاعل قضايا الإعجاز مع قضايا البلاغة والنقد.

وقد تفطّن المحدثون إلى علم البديع وصناعته وخلب لبّهم فوشّوا به شعرهم ونثرهم، فابن رشيق يوجّه الكتاب والشعراء المحدثين وينبّههم حتّى لا تكون صناعة البديع عندهم مقصودة لذاتها، مخلّة بتلك الأسس التي وضعها العرب القدماء في شعرهم حفاظا على الأثر الأدبي من التكلّف والتعسّف وابتعادا به عن الحشو والإطناب الذي لا فائدة فيه.

وأبدع البديع عند ابن رشيق ما ورد عن طبع وبديهة ولم يتجاوز البيت أو البيتين في القصيدة، يستدلّ بذلك على جودة شعر الشاعر، وصدق حسّه، وصفاء خاطره، فأمّا إذا أكثر من ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع، وإيثار الكافة، وليس يتّجه البتّة أن يأتي من الشاعر قصيدة كلّها أو أكثرها متصنّع من غير قصد، كالذي يأتي من أشعار حبيب فيذهب إلى جزالة اللفظ، وما يملأ الأسماع منه، مع التصنيع المحكم طوعا وكرها، يأتي الأشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوّة، وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهبا في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة، مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقّة"[67].

هكذا يستشهد على شعر الشاعر، وجودته وحسنه، وصدق إحساسه، وتأثيره وصفاء خاطره، وأبينه بما ورد في القصيدة متدفقا منسابا عن الطبع والبديهة، وبما كان بعيدا عن التصنع، وخاليا من التكلّف، فكان الطبع والسليقة في القصيد أولى من التصنع، وعليه يقوم الحكم النقدي الانطباعي.

إلاّ أنّ ابن رشيق نوّه ببديع ابن المعتز الذي فاق شعراء عصره بما يتميّز به نظمه من قرب المأخذ، وخفّة الصنعة، ورنّة القوافي والأوزان ولطيف الصور والبيان:"وما أعلمُ شاعراً أكملَ ولا أعجبَ تصنيعاً من عبد الله ابن المعتز، فإنّ صنعتَه خفيفةٌ لطيفةٌ، لا تكادُ تظهرُ في بعضِ المواضعِ إلاّ للبصيرِ بدقائقِ الشعرِ، وهو عندي ألطفُ أصحابِه شعراً، وأكثرُهم بديعاً وافتناناً، وأقربُهم قوافِيَ وأوزاناً، ولا أرى وراءَه غايةً لطالبِها في هذا البابِ"[68] ويصنف ابن رشيق الشعراء الذين فتنوا بصناعة البديع، وكرّسوا جهدهم لخدمتها، وطلب أفانينها معتمدا في ذلك مقياس الطبع والبديهة وما ورد عن طريق الفطرة والسجية وتارة

يعتمد مقياس الصنعة، والدربة التي تقوم على انتقاء الألفاظ وتجانسها مع الدلالة والمعنى وتقوم على التشذيب والتهذيب والحوك:"ويعدُّ مسلمُ بنُ الوليدِ أوّلَ من تكلّفَ البديعَ من المولّدين وأخذَ نفسَه بالصنعةِ وأكثرَ منها، ولم يكن في الأشعارِ المحدثَةِ قبل مسلم –صريع الغواني– إلاّ النبذُ اليسيرَةُ، وهو زهير والمولّدين: كان يبطئُ في صنعتِهِ ويجيدُها"[69].

أمّا أبو هلال العسكري (ت 375هـ)، فلم يخرج عمّن سبقوه من البلاغيين والنقاد القدماء في تحديد مفهوم البديع، حيث أكّد أنّ القدماء لم يعرفوا هذه الصنعة إلاّ ما جاء عن طريق البديهة والسجية، وأثبت أنّ المحدثين هم الذين ابتكروا هذا العلم –أي علم البديع– ووضعوا مصطلحاته، إذ ذاك شرع يشرح أساليب البديع واستعمالاته ومصطلحاته ثم أضاف إليها مصطلحات جديدة منها: التشطير والمجاورة والتطريز والمضاعف والاستشهاد والتلطّف، كما بيّن حسن البديع وقبحه وشذب الزوائد وهذّب ما يستحق التهذيب، يقول: "فهذه أنواع البديع[70] التي ادعى من لا رويّه له ولا رواية عنده أنّ المحدثين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها –وذلك لما أراد أن يفحم أمر المحدثين– لأنّ هذا النوع من الكلام، إذا سلم من التكلّف وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن، ونهاية الجودة، وقد شرحت في هذا الكتاب فنونه، وأوضحت طرقه وزدت على كما أورده المتقدّمون ستّة أنواع: التشطير، المجاورة، التطريز، المضاعف، الاستشهاد، التلطف، وشذبت على ذلك فضل تشذيب وهذّبته زيادة تهذيب"[71].

فلم يفت العسكري التحدّث عن قضية نقدية انبثقت عن الفلسفة الإسلامية، ألا وهي "المذهب الكلامي" الذي كان له ارتباط وثيق بعلم الكلام الذي بحث مسألة كلام الله، وخلق القرآن، مستخدما طرق الاستدلال على أصول الدّين، والدفاع عن العقيدة وذلك من أجل تفهّم حقيقة الإيمان ومضمون العقيدة كما وردت في الكتاب والسنة والدفاع عنها بالأدلّة العقلية والنقلية أو بهما معا، وهذا هو الغرض من تأليف ابن البناء للروض المريع.

فبتأثير القرآن وخاصّة آياته المتشابهة اندفعت الفرق الدينية تحاجج وتجادل وتدافع عن العقيدة، وصفات الله، وتناقش علاقة الإنسان بالعالم، فنشأ كما يقول ابن خلدون: "خلافٌ في تفاصيلِ العقائدِ أكثرُ مثارِها الآيُ المتشابهَةُ، فدعا ذلك إلى الخصامِ والتناظرِ والاستدلالِ بالعقلِ زيادةً إلى النّقلِ، فحدثَ بذلك علمُ الكلامِ"(72). هكذا تأثّر الفكر النقدي بالفكر الفلسفي، وتمازجت القضايا النّقديه بالقضايا الفلسفية والعقدية وتلاحقت وذلك من أجل فهم إعجاز القرآن والالتذاذ بأساليب البديع والبيان.

ويشير العسكري إلى أنّ ابن المعتز قد أقحم" المذهب الكلامي" في الباب الخامس من كتابه "البديع" وقال:"ما أعلمُ أنّي وجدتُ شيئًا منه في القرآنِ، وهو يُنسبُ إلى التكلّفِ وجَعْلِهِ من البديعِ ومثالُه: لولا العملُ لم يطلبِ العلمُ، ولولا العلمُ لم يكن عملٌ، ولأن أدعَ الحقَّ جهلاً به أحَبُّ إِلَيَّ من أن أدَعَهُ زُهداً فيه"(73)، وأنشد قول عبد الله الفرزدق (طويل):

لكـــلِّ امرئٍ نفسانِ: نفسٌ كـــريمةٌ وأُخرَى يُعاصِيهَا الهوَى فيُطِيعُهَا
ونفسُكَ من نفسَيْكَ تشفعُ للنّدَى إذا قَلَّ من أحرارِهِنَّ شفِيعُهَا(74)

موقف ابن البناء من البديع: ولتحديد موقف ابن البناء من البديع لا بد من الإجابة عن التساؤلات التالية: ما غرض ابن البناء من تأليف كتابه الروض المريع في صنعة البديع"؟ وما موقفه من صناعة البديع؟ وما هي الضوابط التي وضعها لها؟ وما الفائدة من معرفة هذه الصناعة؟ وما مدى علاقتها بإعجاز القرآن؟ وكيف استطاع ابن البناء أن يميّز بين علم البيان، وصناعة البديع؟ وما سبب تعدّد واختلاف أقسام البديع عنده؟ وما الجديد الذي قدّمه الروض المريع؟

لقد عبّر ابن البناء صراحة عن غرضه من تأليف كتابه الروض المريع:" فغرضِي أن أقرِّبَ في هذا الكتابِ من أصولِ صناعةِ البديعِ، ومن أساليبِها البلاغيَّةِ، ووجوهِ التفريعِ تقريباً غير مُخِلٍّ، وتأليفاً غيرَ مُمِلٍّ"(75)، فإنّ قوله: "أصول صناعة البديع" لا يخرج عن معنيين إثنين: أولها الضوابط والقواعد التي تحكم صناعة البديع، والثاني: النصوص التي تستخرج منها هذه الصناعة.

فقد نظر ابن البناء في القرآن الكريم كما نظر فيه البلاغيون القدماء، ووقف أمام إعجازه وبلاغته مثلما وقفوا، وحلّلوا آياته وبسطوا الكلام فيها، وقرّبوا معانيها فاكتشفوا البديع الذي لا يماثله بديع، والبيان الذي لا يحاكيه بيان، وهو ما عبّر عنه بقوله:" قَصُرَتْ دونَ بلاغتِهِ وبراعتِه الفهومُ، وانحصَرَتْ تحتَ كلّياتِهِ وجزئياتِه جميعُ العلومِ، وعَجَزَتْ عن تَصَوُّرِ كُنْهِ عجائبِهِ، وضروبِ غرائبِهِ الأذهانُ"(76).

وخلاصة هذا أنّ ابن البناء أدرك أنّ تقريب الصور البلاغية والأساليب البديعية هو الموصل إلى تلك الغاية السامية، والمقصد النبيل، ولا يتمّ ذلك إلاّ بالوعي المنطقي، والقواعد التي تحكم صناعة البديع، وعلم البيان، مع إدراك العلاقة الحميمية التي تجمع بين هذا العلم، وتلك الصناعة، لذا جاء كتاب الروض مبنيا على أسس صناعة البديع، وعلم البيان مميزا الضوابط التي تحدّ موضوع الصناعة وتحكم قواعد البيان.

وبذلك لا يخرج مفهوم البديع عند ابن البناء عن اعتباره ظاهرة جمالية تفرزها محسنات أسلوب الخطاب ومعناه وظاهرة صناعية تنطوي تحت علم البيان، فعنده أن:"صناعةُ البديعِ ترجعُ إلى صناعَةِ القولِ ودلالتِهِ على المعنى المقصودِ، ومستندُها علمُ البيانِ، وهو شيءٌ يُفِيضُهُ الحقُّ من عنده على الأذهانِ ويشْهَدُ به العقلُ الصريحُ لا باستفادةٍ من إنسانٍ إنّما يحصلُ من المخلوقين التنبيهُ على العلمِ الذي علّمَهُ اللهُ خلقَه"، قال تعالى:﴿**الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإِنسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَانَ**﴾(77)، ومعنى ذلك أن البيان موهبة فطرية يهبها الله لمن يشاء من عباده تنمو وتكبر مع صاحبها بالدربة والتمرّن على أساليب البيان بالاطلاع على ما جاء به فحوله وأربابه في تاريخ العربية قديمها وحديثها، ثمّ يقول: "وصناعةُ البديعِ والفصاحةِ والبلاغةِ إنّما هي من جهةِ الاستدلالِ بالألفاظِ على معانيها، فمرجعُها كيفيَّةُ العبارةِ والأساليبِ في البيانِ، وعلمُ البيانِ إنّما هو من وجهِ الدلالَةِ والدليلِ، فمرجِعُه إلى المعاني من حيثُ هي واضحةٌ فيهِ، ومُشاكَلَةِ الأمورِ من جهةِ حقائقِها، عُبِّرَ عنها بلفظٍ أو لم يُعَبَّر، ولذلك يكون البيانُ عند الخاصَّةِ بالكلامِ البديعِ، ويكونُ عند العامّةِ بكلامِهَا المبنِيِّ على غيرِ اللغةِ وعلى غيرِ الإعرابِ، ومتى أُطلِقَ البيانُ على القولِ وحدَهُ الذي به التبيانُ فصناعةُ البديعِ هي صناعةُ البيانِ، وعلمُ البيانِ فوقَها"(78)، فالبديع عنده شامل لجميع فنون البلاغة أو بمعنى آخر: هو الجديد المخترح أو البديع في الحسن المتناهي فيه.

والواضح أنّ ابن البناء ومعاصريه من المغاربة اختلفوا مع السكاكي في تقسيمه البلاغة إلى علوم ثلاثة، فقد استقل عنده علم المعاني، والبيان، وألحق بهما المحسنات وإن كان لا يسمّيها بديعا"وإذا تقرّرَ أنَّ البلاغةَ بمرجِعَيْهَا والفصاحَةَ بنَوْعَيْهَا...ممّا يكسُو الكلامَ حُلَّةَ التزيينِ ويرقّيهِ أعلى درجاتِ التحسينِ، فهَهُنا وجوهٌ مخصوصةٌ كثيراً ما يُصارُ إليها لِقَصْدِ تحسينِ الكلامِ، فلا علينا أن نشيرَ إلى الأعرافِ منها وهي قسمان: قسمٌ يرجعُ إلى المعنى وقسمٌ يرجعُ إلى اللفظِ"،–ثمّ يذكرُ من الأول–"المطابقةُ، المقابلةُ،المشاركةُ، المشاكلةُ، ومراعاةُ النظيرِ، والمزاوجةُ واللفُ والنشرُ، والجمعُ والتفريقُ والتقسيمُ...ومن الثاني:التجنيسُ، وردُّ الأعجازِ على الصّدورِ،والقلبُ والأسجاعُ والفواصلُ والترصيعُ"[79].

ويتفق ابن البناء مع القدماء في مفهوم البديع الذي يدلّ عندهم على الجدّة والطرافة في خواص التعبير الفنّي، وكلّ ما يكون محلّ استطراف من الظواهر البلاغية كما هو عند ابن المعتز والجاحظ الذي يقول عنه: "والبديعُ مقصورٌ على العربِ، ومن أجلِهِ فاقت لغتُهم كلَّ لغةٍ، وأَرْبَتْ على كلِّ لسانٍ، والرّاعِي كثيرُ البديعِ في شعرِهِ، وبشارُ حسنُ البديعِ"[80] فالبديع عند الجاحظ خاصية مقصورة على العرب دون غيرهم من الأمم.

فقد استعمل ابن البناء البديع بمعنى الشموليه، واستخدمه بمفهومه الواسع الذي يضم في ثناياه الظواهر البلاغية بمختلف أقسامها، فمضمون كتابه هو البلاغة لا البديع كعلم مشتق من علوم البلاغة كما قد يتوهّم بعض الدارسين من فهمه الخاطئ للعنوان "الروض المريع في صنعة البديع"، فليس المقصود هنا بالبديع فنون البديع التي أكثر المتأخرون من ذكرها وإنّما البلاغة كلّها ولم يكن في ذلك وحيد زمانه في هذا الاتجاه بل كان كمعاصره أبي القاسم السجلماسي في"المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع"، الذي لم يستعمل البديع كرافد للبيان والمعاني بل جاء عنده في عدّة مواضع بمعاني مختلفة فهو تارة: الفن، الأسلوب الصنعة، الرأي الجديد، الرأي الخطأ والجديد في خطئه، الصنف.

وخلاصة ما سبق: إنّ البديع هو البلاغة في أسمى درجاتها، فالأسلوب المتميّز هو الذي يؤدي إلى البلاغة وهو الذي يعطيها البديع وبالتالي تكون الفنون البلاغية كلها فنونا

لتحقيق درجة الإبداع، فالتشبيه والمجاز والكناية والطباق والفصل والوصل والقصرُ وغيرها من الفنون إنّما هي أوعية يحاول المبدع أن يصبّ فيها ابتكاره وإبداعه ونبوغه وقد ينجح وقد لا ينجح، فليس هناك فنون بديعية إنّما هناك فنون تحاول أن تحقّق البديع، وأن تحقّق البلاغة في أبدع صورها، ومن ثمّ نحسُّ بمدى الخسارة التي لحقت الدرس البلاغي بالانحراف إلى ما سمي بفنون البديع بمعنى تخصيص فنون بعينها تسمى "البديع"، بينما المقصود من "الفنون البديعية" الفنون التي تحاول تحقيق الإبداع والابتكار والتميُّز والفن الجميل[81].

الهوامش والإحالات

(1)- الروض المريع، ص، ص: 19-20.

(2)- نظرية البلاغة، عبد المالك مرتاض، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط2، 2010، ص:225.

(3)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:19.

(4)- المصدر نفسه، ص:180.

(5)- المنزع البديع، للسجلماسي، ص:180 .

(6)- مفاهيم الجمالية و النقد في أدب الجاحظ ، ميشال عاصي، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، د.ط ص: 32-33.

(7)- الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشي، ط.3 ، 1994، ص:10.

(8)- علم البيان، ابن عبد الله شعيب، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر،د.ط، د.ت، ص:5.

(9)- الروض المريع، ص:88.

(10)- شرح رسالة الكليات، ابن البناء المراكشي ضمن كتاب:"من تراث ابن البناء المراكشي"، تح.عمر أوكان، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1995، ص:29.

(11)- الرحمن، 1-4.

(12)- المائدة، 4.

(13)- الروض المريع، ص:88.

(14)- المصدر نفسه، ص:89.

(15)- المصدر السابق، ص:89.

(16)- المنزع البديع، للجلماسي: ص:180.

(17)- مفتاح العلوم، أبو يعقوب بن أبي بكر السكاكي، القاهرة، 1937، ص:249.

(18)- دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص:5.

(19)- المصدر نفسه، ص:6.

(20)- دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص:7.

(21)- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح. محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف ط4، د ت، ص:106.

(22)- الروض المريع، ص،ص:136-137.

(23)- آل عمران، ص:138.

(24)- البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، كامل البصير، ط3، 1402هـ، ص:252.

(25)- البيان والتبيين للجاحظ، ج.1 ص،ص:75-76.

(26)- الروض المريع، ص:87.

(27)- المصدر نفسه، ص:87.

(28)- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، للقرطاجني، ص:25

(29)- ينظر: منهاج البلغاء، الملحق ص:389.

(30)- ينظر: مثلا المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، القاهرة،1939، ج.1 ص:80 وما بعدها.

(31)- مفتاح العلوم، للسكاكي، ص،ص: 526-527.

(32)- دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص:43.

(33)- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تح عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، 1953، ص:49.

(34)- الصناعتين، للعسكري، ص:8.

(35)- سر الفصاحة، لابن سنان، ص:3.

(36)- ينظر: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، ص:53.

(37)- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلاّم الجمحي، تح. محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة ط.2، ج.1، ص:132.

(38)- ينظر: الأسلوبية والبيان العربي، د.عبد المنعم خفاجي، د.محمد سعيد فرهود،د. عبد العزيز شرف الدار المصرية اللبنانية، ط.1، 1992، ص:112.

(39)- ينظر: البديع وثنائية الشعر وغير الشعر عند ابن البناء، سعاد بنت عبد العزيز المانع، مجلّة جذور العدد:16، ص:278.

(40)– مفهوم الإعجاز عن الباقلاني، د. محمد الحجوي، مجلّة دعوة الحق المغربية، العدد:325، السنة: 38 يناير، فبراير، 1997.

(41)– البيان والتبيين، للجاحظ، ج.4، ص، ص:55-56.

(42)– المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح، د.علال الغازي، 1980، ص:97.

(43)– المصدر السابق، ص،ص: 97-98.

(44)– ينظر "قضايا النقد الأدبي عند ابن البناء، مولاي عبد العزيز ساهر، مخطوط رسالة دكتوراه، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، سنة: 2004.

(45)– مثل المنزع البديع في تجنيس أساليب البيع، والروض المريع في صنعة البديع، والذيل والتكملة والمنهاج، ومقارنتها مع ما تقدّمها وعاصرها من المؤلفات البلاغية والنقدية المشرقية .

(46)– المنزع البديع، للسجلماسي، ص:111.

(47)– المصدر نفسه، ص:115.

(48)– دراسات في الأدب العربي، غرنباوم، تر: إحسان عباس، دار مكتبة الحياة بيروت،1959، ص:16.

(49)– ينظر: تلخيص المفتاح في علوم البلاغة،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، تح. عبد الرحمن البرقوقي، ط.2، القاهرة 1932، ص:347.

(50)– البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر، مقدّمة نقد النثر لطه حسين، مطبعة دار الكتب العلمية، ص:15.

(51)– المنزع البديع، للسجلماسي، ص:99.

(52)– الصبغ البديعي، أحمد موي، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط.، 1969، ص:15.

(53)– المنزع البديع، ص:100.

(54)– العمدة لابن رشيق، ج1.ص:129.

(55)– الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني،تح. محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي مطبعة الباي، 1386هـ، ص:33.

(56)– مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير، أمين الخولي، دار المعرفة، د.ط،1961،ص:258-259

(57)– إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيّب الباقلاني، تح. أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط3 دت، ص،ص:111-156.

(58)– المصدر السابق، ص:111.

(59)– إعجاز القرآن للباقلاني، ص:111 .

(60)- الإسراء،24.

(61)- مريم، 4 .

(62)- يس، 37 .

(63)- يوسف، 80.

(64)- النمل، 91.

(65)- إعجاز القرآن، للباقلاني، ص:157.

(66)- العمدة، لابن رشيق، ج.1، ص:129.

(67)- العمدة لابن رشيق، ج1 ص:130.

(68)- المصدر نفسه، ص:130.

(69)- المصدر نفسه، ص:131.

(70)- يقصد الاستعارة/ المجاز/ التجنيس/ المماثلة/ صحة التقسيم/ صحة التفسير/ الإشارة/ الإرداف التوابع/ الغلو/ المبالغة/ الكناية/ التعريض/ العكس/ التبديل/ التذييل/ الترصيع/ الإيغال/ الترشيح/ رد الأعجاز على الصدور/ التكميل التتميم /الالتفات الاعتراض / الرجوع/ تجاهل العارف/ الاستطراد/ المؤتلف والمختلف/ السلب وافيجاب /الاستثناء /المذهب الكلامي/ التشطير/ المجاورة/ الاستشهاد/ الاحتجاج التعطف/ المضاعف / التطريز/ التلطف.

(71)- الصناعتين، العسكري، ص،ص: 293-294.

(72)- المقدمة، ابن خلدون، ج.2 ، ص: 146.

(73)- الصناعتين، العسكري، ص:461.

(74)- العمدة لابن رشيق، ج.2 ،ص:75 ، والبديع لابن المعتز، ص: 101.

(75)- الروض المريع، ص،ص:68-69.

(76)- الروض المريع، ص:68.

(77)- الرحمن،1-4.

(78)- الروض المريع، ص،ص:88،89.

(79)- مفتاح العلوم، السكاكي:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ 2000م، ص:532-543.

(80)- البيان والتبيين، للجاحظ، ج.4، ص:56.

(81)- ينظر:البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، ص:20.